



-1-

لقد فرغنا من الذين يقولون إن داعش جماعة جهادية صالحة، فما بقي أحد يقول تلك المقالةاليوم إلا المغفلون، وأيُّما رجل ثبت على هذا الرأي بعد كل الذي ظهر من إجرام داعش وجنايتها على سوريا فإنه لا أمل في شفائه، وهو أبعد عن الهدية من قوم نوح الذين قال الله فيهم: {لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمٍ مَّا قَدْ آمَنَ}.

نعم، هؤلاء فرغنا منهم، وبقي عندنا فريق ليس أصحابه بأقل سذاجة من الأوّلين، يقولون: حسناً، اقتنعنا بضرر داعش على الثورة، ولكن ليس من مصلحة سوريا وثورتها أن ننشغل عن قتال العدو الرئيسي، النظام، بنزاع جانبي مع داعش، فاتركوها ولا تثيروا الفتنة بقتالها.

إن المنطق الأعوج الذي يتحاكم إليه هؤلاء السُّدُّج (وأعذر منهم عن هذا الوصف) يشبه أن يقول قائل: لا تستتوا جهودكم ولا تضيّعوا الوقت بقتل حالش والشبيحة وميليشيا جيش الدفاع الوطني، قاتلوا النظام فحسب.

أو يقول: اتركوا أجهزة الأمن والمخابرات وحاربوا الجيش الذي يقصّف المدنيين في حلب ويحاصرهم في حمص والغوطة. أما آن لكم - يا أيها العقلاة - أن تدركوا أن جيش النظام ومخابرات النظام والجيش الوطني والشبيحة وحالش وداعش عدو واحد تعددت صُورُه وأسماؤه، وأن قتال بعضه وترك بعضه كتركه جميعاً بلا قتال؟

أغَرّكم من داعش أنها رفعت راية عليها اسم الله؟

فِلَمْ لَمْ يَغْرِكُمْ ذَلِكَ مِنْ حَالِشِ؟

أَلَا يَقَاتِلُ الْحَوَالِشُ كَمَا يَقَاتِلُ الدَّوَاعِشُ؟

كل من الفريقين يرى الجنة من فوهة بندقيته ويحسب أنه يصل إليها بقتل المسلمين المجاهدين في الجيش الحر والجبهة الإسلامية وجبهة النصرة وجيش المجاهدين، فما الفرق بينهما بالله عليكم؟ أعترف بأنني غبي لا أفهم، فأفهموني يا إليها الحكماء الأذكياء.

-2-

بعد كل الذي كان، وبعدما صدرت في إجرام داعش وعمالتها لأعداء الأمة مئات الشهادات من العلماء والمجاهدين الأخيار، حتى من مجاهدين صالحين كانوا مع داعش ثم فارقوها لما رأوا ما هي عليه من ضلال وإجرام، بعد ذلك كله لم يبق فيها إلا صنفان من الناس: شرار الأرض في الدنيا وكلاب النار في الآخرة. لم يبق فيها إلا قادة خبئاء يخططون لoward الثورة وإجهاض الجهاد، وأتباع بلا عقول ولا أفهام هم آلات قتل لا أمل في شفائهم في يوم من الأيام.

الأولون يقاتلون ويُقتلون بلا رحمة ولا تردد، والآخرون يقاتلون ويُقتلون برحمة وبلا تردد، وبالتالي فإنهم كلهم يقاتلون ويُقتلون بلا تردد، إلا أننا نرحم الآخرين ونلعن الأولين.

في حديث أبي أمامة الباهلي الذي صححه الألباني في صحيح ابن ماجه أنه لما رأى قتلى الخوارج قال: **شَرُّ قَتْلَى قُتْلَوا تَحْتَ أَرْبَمِ السَّمَاءِ، وَخَيْرُ قَتْلَى مَنْ قُتْلُوهُ.** كلاب أهل النار، قد كان هؤلاء مسلمين فصاروا كفاراً.

وعند الطبراني في "الأوسط" أنه وقف عليهم فبكى، ثم قال: سبحان الله، ما يصنع إبليس بهذه الأمة! ثم قال: كلاب النار، كلاب النار، كلاب النار. ثم تلا قوله تعالى: **{يَوْمَ تَبَيَّضُ جُوَفَهُ وَتَسُودُ جَوَافُهُ، فَمَا الَّذِينَ اسْوَدُتْ وَجْهُهُمْ أَكَفَرُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}.**

قال رواي الحديث: ثم التفت إلى فراني، فقال: أبو غالب؛ وأخذ بساعدى فقال: أنت بيلد هؤلاء فيه كثير؟ (يعنى العراق). قلت: أجل. قال: أعاذك الله أن تكون منهم.

قلت: يا أبا أمامة، أرأيت قولك "كلاب النار"، قلتَه برأيك أو شيئاً سمعته؟ قال: سبحان الله، إني إذن لجريء.

لا، بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا مرّة ولا مرتين ولا ثلثاً ولا أربعاً ولا خمساً ولا ستّاً ولا سبعاً (يريد أنه سمعه أكثر من ذلك).

وفي رواية أنه استبكى، فسألته أبو غالب: يا أبا أمامة، ما يبكيك؟ قال: كانوا على ديننا... ثم ذكر ما هم إليه صارون.

-3-

دعوت قبل عدة أشهر إلى قتال داعش قتال البغاء، ولكنني كنت قليل العلم قصير النظر، وكان غيري أفقه وأعلم حينما دعاه إلى قتالهم قتال الخوارج، وإلى تطبيق وصية النبي صلى الله عليه وسلم فيهم كما وردت في حديثين صحيحين مشهورين أخرجهما الشیخان وأصحاب السنن؛ قوله صلى الله عليه وسلم: **"يَأْتِي فِي أَخْرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَّثُوا بِالْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِّيَّةِ، يَمْرُّونَ مِنْ إِسْلَامِ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيَتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنْ قَتَلْهُمْ أَجْرٌ لَمْنَ قَتَلُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ."**

وقوله فيهم: **يَقْرُؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُّونَ مِنَ الدِّينِ مُرْوَقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ إِسْلَامٍ وَيَدْعُونَ أَهْلَ**

الأوثان، لئن أنا أدركُهم لاقتُلُهم قتلَ عاد".

وفي صحيح سنن أبي داود: "هم شرُّ الخلق والخلية، طوبى لمن قاتلهم وقتلوا، يدعون إلى الكتاب الله وليسوا من هم شيء، مقاتلهم كانوا أولى بالله منهم".

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم: قوله صلى الله عليه وسلم: "أحداث الأسنان سفهاء الأحلام" معناه صغار الأسنان صغار العقول، قوله: "يقولون من خير قول البرية" معناه أنه خير في الظاهر، قوله "لا حكم إلا لله" ونظائره من دعائهم إلى كتاب الله تعالى (قلت: وهو يشبه دعوى الدواعش بتطبيق الشريعة وإقامة دولة الإسلام).

قال النووي: "قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا لقيتموه فاقتلوهم فإن في قتلام أجرًا"؛ هذا تصريح بوجوب قتال الخوارج والبغاء، وهو إجماع العلماء".

-4-

بقيت مسألة يتوقف عندها بعض المجاهدين؛ يقولون: كيف نقاتل الدواعش جملةً وفيهم الصالحون الصادقون المخدوعون؟ إننا يمكن أن نقاتل القادة والأمنيين المعروفين بالخبث والفساد والإجرام، ويمكن أن نقاتل المقاتلين الذين افتنعوا بمزاعم قادتهم فكفّرنا وقاتلنا قتال الكفار المرتدين، ولكن ماذا نصنع بالذين يُساقون إلى قاتلنا وهم يحسبون أنهم يقاتلون العدو النصيري أو حالش أو قوات الحماية الكردية المتحالفة مع النظام؟

هؤلاء كيف نقاتلهم وهم مخدوعون مضلّلون؟

كيف نقاتلهم وفيهم المصلّون الصائمون العابدون؟

هذا سؤال كفتنا مؤونته اثنتان من أمهات المؤمنين وسمعا جوابه من الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام.

أخرج البخاري ومسلم عن أم المؤمنين زينب بنت جحش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فَزِعًا يقول: "وَيْلٌ للعَرَبِ مِنْ شَرِّ الْقَرْبَى" فُتُحَ الْيَوْمُ مِنْ رَدْمٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ" (وَحَلَقَ بِإِصْبَعِهِ إِبْهَامَ وَالْتِي تَلِيهَا).

قالت: أهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم، إذا كثُرَ الْخَبْثُ". وأخرج الترمذى عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يغزو جيشُ الكعبة فإذا كانوا بيداء من الأرض يُخسفُ بأولهم وآخرهم". قالت: يا رسول الله، كيف يُخسفُ بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: "يُخسفُ بأولهم وآخرهم ويعطون على نياتهم".

فنحن مأمورون بقتال البغاء ولو كانوا مؤمنين، يقاتلون على بغيهم حتى ينتهي بغיהם.

ونحن مأمورون بقتال الخوارج الذين كفروا المسلمين واستباحوا دماءهم، نقاتلهم على ما هم عليه من إخلاص وشجاعة وعلى ما يُظْهِرُ فِيهِمْ مِنْ مُبَالَغَةٍ فِي الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ، حَتَّى وَصَفَّهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُمْ "يَحْسِنُونَ الْقُولَ" وَيُسَيِّئُونَ الْفَعْلَ، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ".

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتالهم وقتلهم وهم قراء حَفَظَة مصلّون صائمون، فمن صرفه عن قتال الدواعش ما يراه من عبادتهم وشجاعتهم لم يفقة حديثَ رسول الله ولا يستحق ولادة الله، لأنَّه يُتلى عليه حديثُ رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ قاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللهِ مِنْهُمْ" ثم يردد وياياده!

-5-

ثم إن شبهة ترك قتال المخدوعين لأنهم مخدوعون يمكن أن تعمم حتى تشمل أعداء الثورة جميعاً، فإن في جيش النظام مُكرهين على القتال، ولا بد أن فيه مخدوعين من عوام المسلمين الذين يقال لهم إن المجاهدين مُفسدون مخربون متحالفون مع أعداء الأمة من اليهود والصلبيين! وكذلك حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي الذي يتحالف مع النظام ويقاتل المجاهدين، فيه أكراد مسلمون جَهَلة مخدوعون، وقد حدثني أحد إخوة الدعاة في الشمال أن بعض أسرار الأكراد كانوا يحضرون دروسه الدعوية التي ألقاها في بعض الكتائب، ومعرفتهم بالعربية والإسلام معرفة قليلة محدودة ولكن فيهم خيراً واستعداداً للتعلم والصلاح.

فلماذا أبْحَثْتْ قتال أولئك المُكْرَهِين والمخدوعين وحرّمْتْ قتال أمثالهم من الدواعش؟

هؤلاء جميعاً يحاسبون يوم القيمة بنيّاتهم وأعمالهم: {وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يوْمَ الْقِيَامَةِ فَرِداً}، أما في الدنيا فإنهم يطبق عليهم قانون الجماعة كما ورد في قوله تبارك وتعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً}، وكما جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم: "إِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِقُوَّةِ عِزَّابٍ أَصَابَ الْعَذَابَ مَنْ كَانَ فِيهِمْ ثُمَّ بُعْثَرُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ".

-6-

كلمة أخيرة للذين يقولون إن الحكم والمصلحة تقتضيان تأجيل قتال داعش والتركيز على العدو الأكبر، النظام، وإن الاقتتال بين المجاهدين خطيئة يتحمل وزرها كلُّ من يشجع عليه ويدعو إليه ويقع فيه.

أقول لهم: آن لكم أن تتحرروا من سحر الأسماء والرايات والشعارات ودركونا أن داعش ليست أصلاً من جماعات المجاهدين، إنما هي عصابة معتدية آثمة ليست أقل شرًّا وعداوة للسوريين وثورتهم وجهادهم من النظام وحالش وسائر الميليشيات الإيرانية الطائفية. آن لكم أن تدركوا أن عدم وقف داعش عن العدوان سيُفضي على الثورة قضاء محتماً، لأنها ما تزال تعتمد على الجماعات والكتائب المجاهدة، وكلما أكلت كتيبة منها واستولت على سلاحها ازدادت قوًّا وقدرةً على التهام غيرها من الكتائب، وهكذا فإنها تتحول إلى وحش مرعب لا يزال يتمدّد ويستولي على المناطق المحررة حتى يلتهم سوريا كلها لا قدر الله.

إنَّ فِينَا مَنْ لَا يَبَالِي بِأَنْ تَبْتَلِعَ دَاعِشُ سُورِيَا مَا دَامَتْ تُرْفَعُ رَأْيَةُ سُودَاءِ نُقْشَتْ عَلَيْهَا عَبَارَةُ التَّوْحِيدِ! أَحْمَدَ اللَّهُ أَنَّهُمْ قَلَّةٌ لِيُسَلِّمُ لَهَا وَزْنُ، أَمَا الْأَكْثَرُونَ مِنَ السُّورَيْبِينَ فَقَدْ أَيْقَنُوا أَنَّ دَاعِشَ أَشَدُ خَطَرًا عَلَى سُورِيَا مِنَ النَّظَامِ، فَأَقْسَمُوا أَنْ يَحْارِبُوهَا وَيَكْفُوا شَرَهَا وَلَوْ اضْطُرُوا إِلَى تَقْدِيمِ قَاتَلَهَا عَلَى قَتْلِ النَّظَامِ، وَقَدْ أَنْذَرُوا الدَّوَاعِشَ أَنَّ كُلَّ مَنْ حَمَلَ السَّلَاحَ وَاصْطَفَ مَعَ دَاعِشَ فَهُوَ هَدْفُ مَشْرُوعٍ، وَمَنْ أَلْقَى سَلَاحَهُ وَفَارَقَ الْعَصَابَةَ فَهُوَ فِي الْذَمَّةِ وَالْأَمَانِ.

الزلزال السوري

المصادر: